بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الجليل رئيس المجمع

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

فقد استقبل مجمعنا مجمع اللغة العربية بدمشق في الأسابيع الأخيرة أربعةً من الأعضاء العاملين الخمسةِ الجدد الذين اختارهم من عُصَب الفصحى الذين يتعصّبون لها ويلتفّون حولها ويرفعون منارتها فتقوى بهم وتشتدّ، وسيكونون إن شاء الله عوناً لزملائهم المجمعيين الذين سبقوهم من تلك العُصَب في الصحو من إغفاءة المجمع التي كان لها أسبابها ، ومنها : جائحةُ الكورونا ، وانتقالُ سبعةٍ من أعضائه بين عامي 2018 و2021 إلى دار الخُلد ، تغمدهم الله برحمته الواسعة سَعةَ ما قدّموا للغة القرآن الكريم ، وها نحن أولاء نستقبل اليوم العضو الخامس ، فمن هو ؟

وُلد عيد سعيد مرعي عام 1954 في قرية زعورة في الجولان الحبيب ردّهُ اللهُ إلى حمى الوطن ، حيث كان سكان دمشق حتى وقوع النكسة عام 1967 كثيراً ما يقضون أيام الإجازة في أحضان حقوله التي انتشرت فيها أشجارُ البطم والبلوط والزعرور والسنديان ، وأحاطت بها الجبالُ والتلال ، وجادها الغيث مع حوران ، وفاحَ بها شذا الوردِ والأقحوان ، فيتذكرون أيام الغساسنة ، وينشدون وصف حسان بن ثابت تلك الربوع :

انظر خليلي بِبَابِ جلّقَ هل تُؤنسُ دون البلقاءِ من أحدِ؟

مِن دون بصرى وخَلفها جبلُ الثلْـ ـجِ ، عليه السحابُ كالقَددِ

وينشدون رثاء النابغة الذبياني للنعمان بن الحارث ملك الغساسنة بعد أن دُفن في حوران :

سقى الغيثُ قبراً بين بصرى وجاسمٍ بغيثٍ من الوسميّ قَطْرٌ ووابلُ

بكى حارثُ الجولان من فقدِ ربـّهِ وحورانُ منه موحشٌ متضائلُ

فلمّا أنهى الفتى دراسته الجامعية بالحصول على الإجازة في التاريخ من جامعة دمشق لم يرغب في أن تكون دراسته العليا في دولٍ لغتها الإنكليزية أو الفرنسية لأن الوطن العربي من المحيط إلى الخليج عانى وما يزال من استعمارها ، ولذا اختار ألمانيا التي جاء امبراطورها غليوم الثاني إلى دمشق مطلع القرن العشرين ولم يكن غازياً لها كما فعل الجنرال غورو بعده بعقدين ، بل أتاها صديقاً زائراً فاحتفى به واليها العثماني حسين ناظم باشا وأقام له في حي المهاجرين شُرفةً ليسهر فيها مع زوجته الامبراطورة وينعما بتأمّل عاصمة الأمويين الساحرة قي هدأة الليل ، ومن الطريف أن الشرفة سُمّيت بعد ذلك "المِصطبة" . وسافر صاحبنا إلى ألمانيا الغربية ونزل في مدينة فورتسبورج Würzburg على ضفاف نهر الماين إلى الشمال من ميونيخ عاصمة ولاية بافاريا ، والتحق بقسم الأكاديات Akkadistik في جامعتها ليدرس فيه حضارة بلاد الرافدين

تاريخاً وآثاراً ولغات حتى نال درجة الدكتوراه عام 1985 . وعاد إلى الوطن ليكون عضواً في هيئة التدريس في قسم التاريخ بجامعة دمشق حتى رُقي إلى درجة "الأستاذ" عام 1998 ، وما يزال في عمله إلى اليوم . ولكن الأستاذ الدكتور عيد فعلَ ما فعله زملاؤه بالإفادة من الإعارة إلى الجامعات العربية ، فبدأها بالتدريس في جامعة صنعاء عاماً واحداً 97/1996 ، ثم قضى خمسة أعوام في كلية التربية في بيشة في السعودية (2000–2005) ، ثم قضى عاماً واحدا 11/2010 في جامعة الدمام في السعودية أيضاً .

أيها الحفل الكريم !

بدأ الأستاذ عيد بنشر الأبحاث والدراسات بعد عودته من ألمانيا ، فأما ما كان منها مقالاتٍ فمعظمها في دوريّة "دراسات تاريخية " التي تنشرها جامعة دمشق و في دورية "مهد الحضارات" التي تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف . وأمّا الكتب فكان أوّلَ ماعرفته منها كتابٌ عنوانه "تاريخ بلاد الرافدين" أهداني نسخةً منه في نيسان عام 1992 في تدمر ونحن نشارك في ندوةٍ أقامتها المديرية العامة للآثار والمتاحف ، فكان ذلك فاتحة علاقة المحبّة والمودّة والزمالة بيننا التي انقضى منها اليوم ثلاثة عقود ، وسأحدّثكم عن بعض محطاتها لأنها تنير مراحل من سيرته العلمية . كانت أولاها في شهر نيسان عام 1994 عندما كنت رئيساً لقسم اللغات الشرقية بجامعة اليرموك في الأردن الشقيق ، فاستطعت بعون الله جمع المختصين باللغات القديمة في سورية ولبنان والأردن في أول ندوةٍ تضمّهم وتكون العربية لغتها بعنوان "الندوة الإقليمية الأولى عن الكتابات في بلاد الشام حتى ظهور الإسلام" لتوازيَ وتكمل ندوات زملائهم المختصين بالتاريخ والآثار مما يؤدّي إلى تمكّن ذوي الاختصاص في الحقول الثلاثة من الوصول إلى صورةٍ جليّة لحضارة هذا الإقليم ، وقد شملت بحوثُها النقوش والكتابات بالإغريقية واللاتينية أو باللغات الساميّة : الإبلاويّة والأمورية والأوغاريتية والفينيقية والعبرية والآرامية – بما فيها النبطية والتدمرية– والعربية الشمالية ، وأوصى المشاركون الأربعون – وكان د.عيد أحدهم– في ختامها بأنْ تُعقد الندوة كلّ عامين بالتناوب بين الجامعات في الدول الثلاث. وكانت المحطتان التاليتان مشاركةً كلينا في ندوتين نظمتهما المديرية العامة للآثار والمتاحف ، إحداهما بعنوان "حلب وطريق الحرير" في حلب عام 1994 والأخرى بعنوان "تاريخ الجزيرة السورية" في دير الزور عام 1996 . وشارك د. عيد في السنوات التالية أثناء عمله خارج الوطن في ندوات ومؤتمرات ، ولكنني لم أجتمع به ثانيةً إلا في هيئة الموسوعة العربية بدمشق عام 2014 وكنت عضواً في اللجنة الخاصة بتصنيف إحدى موسوعاتها وهي "موسوعة الآثار في سورية" ، حيث انضم د. عيد إلى اللجنة ليكون مسؤولاً عن الموضوعات التي تربط بلاد الشام ببلاد الرافدين فأصبحنا زميلين – ومعنا آخرون– في هذا العمل الممتع الذي يحتاج إنجازه إلى بضع سنين . فلمّا كان عامُ 2016 أعلن مجمع اللغة العربية بدمشق عن جائزة يمنحها باسم مؤسّسه ورئيسه الأول الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله ، وكان الأستاذ عيد واحداً من المتقدمين لنيلها ، وشاء المولى – جلَّ وعلا– أن أتدخّل في هذا الأمر لأنني كنتُ أحد المحكّمين الذين اختارهم المجمع، وسأميط اللثام عن بعض ما جاء في التقرير الذي أعددته ، قلتُ : "قدّم أ.د. عيد مرعي ستة كتبٍ ألّفها وكتاباً مترجماً لينال بها جائزة الأستاذ محمّد كرد علي رحمه الله ، وهذه عناوينها : تاريخ سورية القديم 2010 ، و:رحلة في عالم الآثار : آثاريون ومدن أثريّة 2010 ، و: اللسان الأكادي : موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها 2012 , و: التقويم وحساب الزمن في حضارات الشرق القديم 2014 ، و: تاريخ مملكة إبلا وآثارها2015 ، و: عبادة آلهة الخصوبة في الشرق القديم 2016 ، و: قرطاجة مدينة

البونيين والرومان والمسيحيين لـ فينفريد إللينغر (وهو ترجمة عن الألمانيّة) 2008 . وقد قرأتُ الكتب المذكورة بعنايةٍ وتمحيص، ومما كتبته في تقويمي لها : "ويتحقق المرء بعد قراءة الكتب الستّة أنّه في هذه الموضوعات كلها ابن بجدتها . ويُحمد له في تصانيفه كلها أمران ؛ أحدهما : الاستعانة بالخرائط والمخططات والجداول والصور ليصلَ القارئ بذلك إلى الغاية القصوى من الاستيعاب ، والآخرُ: كتابةُ المصطلحات وأسماء الأعلام والآلهةِ والأمكنة كتابةً صوتية وبصيغها كما وردت في الأصل مما يجنّبها التصحيف والتحريف ويجعل قراءتها مؤكدة .

وقد أهداني بعد ذلك أربعة من الكتب ، أولها : "معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق القديم" عام 2018 ، والثاني : "تاريخ لغات المشرق العربي القديم/ اللغات السامية " عام 2019 ، والثالث : "تاريخ المرأة في المشرق العربي القديم" عام 2020 ، وآخرها : "الأسطورة وفلسفة الحكم في حياة ملوك الشرق القديم " عام 2022 .

أيها الأساتذة المجمعيون !

إذا كنا اليوم انتهينا من الاستقبال والاحتفال فعلينا أن نستأنف العمل بجدٍ ونشاط لمتابعة ما أنجزته عُصَبُ المجمع في مئة عام وتحقيقِ الأهداف التي وردت في المراسيم والقوانين المتعاقبة وآخرها المرسوم الجمهوري لعام 2008 ، وهي : المحافظة على سلامة اللغة العربية ، ووضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية ، والعناية بالدراسات العربية التي تتناول تاريخ الأمة العربية وحضارتها ، والعناية بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقاً ونشراً ، والنظر في أصول العربية وضبطُ أقيستها ، وابتكار أساليب ميسّرة لتعليم نحوها وصرفها .

والعجب – أيها السيدات والسادة– أنّ الفصحى قد سخرت من خصومها ولامت أبناءها العُصاة المخالفين قبل تأسيس المجمع ، وقد روى لنا شاعر النيل حافظ إبراهيم ما قالته تعبيراً عن أَنفتها وحَميّتها وعِزّتها :

رمَوني بعُقمٍ في الشباب وليتني عقُمتُ فلمْ أجزع لقولِ عُداتي
وسعتُ كتابَ اللـه لفظاً وغايةً وما ضقتُ عن آيٍ بهِ وعظات
فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلةٍ وتنسيق أسماءٍ لمخترَعات
أيهجرني قومي عفا اللهُ عنهم إلى لغةٍ لمْ تتصلْ برُواة
سربْ لوثةُ الإفرنج فيها كما سرى لعابُ الأفاعي في مَسيلِ فُرات
أنا البحر في أحشائه الدُّرُ كامنٌ فهل سألواالغوّاص عن صدفاتي

فلنجعل هذه الأبيات الجميلة نشيداً للمجمع ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.د. رفعت هزيم